Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العهد بين (أن) واسمها من جهة، وخبرها من جهة أخرى؛ مما يُخشى معه التناسى، فأعيدت أن واسمها (أنكم) مرة ثانية؛ لمحو ما خشى منه (النسيان)؛ ولترتبط أجزاء الكلام بعضها ببعض، وكذلك الأمر فى الشاهدين: الثانى والثالث خاصة. ومما قد يجب ذكره هنا أن بعضاً من علماء لغة النص مثل ديبوجراند ودريسلر، يعتمدون فى كشفهم عن أوجه الترابط فى النص، يعتمدون على إنجازات علم النفس المعرفى أو الإدراكى فى مجال دراسة الذاكرة بنوعيها: الطويلة المدى والقصيرة المدى، واليات التذكر.

والحق أنه لم تكن إشارة السجلماسى هذه، هى الأولى من نوعها فى البلاغة العربية، بل قد سبقه إليها ضياء الدين بن الأثير، حيث قال ـ نافيا إدراج مثل هذا التكرار فى تكرار المعنى بإضافته إلى نفسه*[1] ـ قال: «ولربما أدخل فى التكرير من هذا النوع ما لبس منه، وهو موضع لم ينبه عليه أيضاً أحد سواى. فمنه قوله تعالى: (ثم إنّ ربّك للذين عملوا السُّوء بجَهَالةٍ ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا. إنّ ربّك من بعدها لَغَفُورٌ رحيم)*[2]، فلما تكرر «إن ربك»، مرتين علم أن ذلك أدل على المغفرة، وكذلك قوله تعالى: (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتنُوا ثم جاهدوا وصبروا إنّ ربّك من بعدها لغَفُورٌ رحيم)*[3] ومثل هذا قوله تعالى: (لا تَحْسَبَنَّ الذين يَفْرَحوْن بما أتَوْا ويُحِبُّون أن يُحْمَدوُا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب)*[4] وهذه الأيات يظن انها من باب التكرار، وليست كذلك. وقد أنعمت نظرى فيها فرأيتها خارجة عن حكم التكرير، وذلك أنه أطال الفصل من الكلام، وكان أوله يفتقر إلى تمام لا يفهم إلا به، فالأولى فى باب الفصاحة أن يعاد لفظ الأول مرة ثانية، ليكون مقارناً لتمام الفصل؛ كى لا يجئ الكلام منثوراً لاسيما فى (إن وأخوتها). فإذا وردت «إن» وكان بين اسمها وخبرها فسحة طويلة من الكلام؛ فإعادة «إن» أحسن فى حكم البلاغة والفصاحة، كالذى تقدم من هذه الآيات. وعليه ورد قول بعضهم من شعراء الحماسة.

اسْجنًا وقيدًا واشتياقاً وغُربةً ... وَنَأىَ حبيب إنّ ذا لعظيمُ

وإن امرأ دامت مواثيقُ عهدِهِ ... علي مثلِ هذا إنّه لكريمُ

فإنه لما طال الكلام بين اسم (إن) وخبرها، أعيدت (إن) مرة ثانية؛ لأن تقدير الكلام: وإن أمرأ دامت مواثيق عهده على مثل هذا لكريم، لكن بين الاسم والخبر مدى طويل، فإذا لم تعد (إن) مرة ثانية؛ لم يأت على الكلام بهجة ولا رونق وهذا لا يتنبه لاستعماله إلا الفصحاء، إما طبعاً وإما علماً[٥٣].

ومن بعد ابن الأثير والسجلماسى، كرر ابن القيم هذه الإشارة، ونص صراحة على دور مثل هذا التكرار فى وصل أول الكلام بآخره، حيث قال: «وقد يكرر القول طلبا لدوام